أسطورة النسر والخفاش

[تذكار ، الى روح البطل الشهيد عدنان المالكي]

صاحبي ، إن تملأ الكأس دموعاً فهي حسبي
لم يعد في الناي افراح اغنيها لشعبي
كل احزان الشكالى نابضات ملء قلبي
ولقد مزقت آمالي على اشواك دربي
وجعلت الصمت والنسيان والعزلة دأبي

أدر الخمرة يا ساقي على كل حزين
من ينابيع الاسى طافحة ملء العيون
ادر الذكر على الاكباد يا ساقي الحنين
كي ترانا في لهيب الحزن ، في نار الانين
نتلظى ، كلنا ينضح بالثأر الدفين

يا ليالي امتي ، قرّحت بالآلام جفني :
لم ازل في معبد الاشباح استلهم فني
ولكم سمّرت في اوثانه الشوهاء عيني !
يا ليالي امتي ، في مزهري آخر لحن
في غد يُروى على الاجيال اسطورة حزن

.. كان في القمة نسر يدرك النجم علاءَ
عربي النفس نبلاً وسمواً واباء
جامح في ملعب الارياح ، يرتاد السماء
في مدى عينيه تلقى عالماً رحباً مضاء
وجناحاه ، كما يتشح الملك رداء

وهو من عليائه يلقي على الغابة ظله
حائماً عبر المدى . تأتلق الافلاك حوله
في رواء تخجل الاسداد إلا ان تجله
كان يرعى قمة شامخة الرأس مطله
قمة شماء ، منها ينبع النيل ودجله

ذات يوم ريعت القمة بالنسر المصاب
ودع الايام في نيسان ، في عمر الشباب
فاذا الغابة نهب للأفاعي والذئاب
والخفافيش التي تسكن دوماً في الخراب
اخذت من بعده تدعو لتتويج الغراب

ان من مهزلة الدنيا ، ومن ظلم الزمان
صولة النذل على من ساجل الدنيا طعان
هكذا اخبث ما تصطنع الغدر يدان
هكذا ، لا يطعن الظهر سوى نذل جبان
ان عين النسر والخفاش لا تلتقيان

في بلادي خدر يعقد اوصال النيام
في بلادي لم تزل تأوي خفافيش الظلام
عبر كهف الليل تختال على كل حطام
.. فجرنا في رحم الدهر تلوّى الف عام
وغداً يولد طفل الشمس في حضن الشآم

ذلك النسر الذي لا ينكر النجم طماحه
معناً ، يوغل في الجو فما يخشى رياحه
ذلك النسر الذي ارخى على السهم جناحه
بعد ان خلف في الارض وفي الجو مناحه
ضمدوا يا اخوتي في ساحة الثأر جراحه

هكذا تروى عن العرب اساطير البطوله :
عاشق أغمض عينيه على رؤيا جميله
كان يشتاق لها عبر لياليه الطويله
وهب القلب لها والسيف والروح النبيله
لم يكن يروي ، سوى الوحدة والثأر ، غليله

إحزني يافا على من كان يشتاق اليك
آملاً أن يبذل المهجة ما بين يديك
حيث يجلو دولة القرصان والشذاذ عنك
في خميس عربي يسحب الفجر عليك
أحزني من لوعة الذكرى وخلي القدس تبكي

ايها الراحل في عمق النوى ، ما زلت حيا
ماثلاً فينا ، كأن الغدر ما نالك شيا
ان في عينيك من إيماضة الخلد ثريا
لم تزل بسماتك البيض ، وما زال المحيا
مشرقاً ، يطفح إيماناً وعزماً عربيا

لو ترانا في وداع النعش اطيافاً غريبه
اوجهاً مشدوهة ناطقة الصمت كئيبه
لو ترى اخوانك الباكين من جند العروبه
لو ترى وجناتهم تنهلّ بالدمع خضيبه
كنت اشفقت على الاحياء من هول المصيبه

.. ويح نفسي ، في عباب اليأس اطلقت شراعي
غارقاً في الصمت ، في النسيان في عمق الضياع
ثم قادتني رياح البعث للشط المضاع
قسماً ، كفرت عن اثمي ، وقدست صراعي
انا ان لم آخذ الثأر غداً شلت ذراعي

دمشق – كلية الحقوق

يوسف الخطيب